

إسرائيل تقدم الاستشارات الفنية: استراتيجية أمريكية جديدة لمواجهة التطورات المستقبلية في العراق

19-12-2003

مجلة نيويورك عدد : 29 and 2003-12-22 Issue
ترجمة : فيصل فرحي

**ويعتبر إحياء عمليات القوات الخاصة الأمريكية من جديد يعتبر نصرا سياسيا
لوزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد الذي عمل طوال سنتين لإجبار
القيادة العسكرية على قبول استراتيجية اسمها "عمليات صيد الرجال"،
وهي عبارة تُستخدم علنا وفي مراسلات البنتاغون الداخلية. وكان على
رامسفيلد أن يغير جزءا كبيرا من قيادة البنتاغون لتنفيذ رغباته. وقال لي
مستشار في البنتاغون مشيراً إلى أفغانستان والعراق: "إن إسقاط
نظامين يسمح لنا بفعل أشياء العراقيين من إسرائيل، وهي أقرب حليف
لأمريكا في الشرق الأوسط.
بقلم سيمور هيرش**

وافقت إدارة بوش على تصعيد كبير في حرب العمليات الخاصة السرية في العراق. وفي مقابلات مع المسؤولين الأمريكيين، ذكروا لي أن الهدف الرئيس يتمثل في مجموعة من المتشددون البعثيين الذين يعتقد أنهم يقفون وراء معظم عمليات المقاومة السرية ضد الجنود الأمريكيين وجنود الحلفاء الآخرين. وقد جرى تشكيل مجموعة جديدة من القوات الخاصة سميت "قوة العمل 121" من جنود القوة دلتا التابعة للجيش والقوات الخاصة التابعة للبحرية والعملاء العسكريين "سي.آي.إيه" مع مزيد من العناصر وجهت لهم الأوامر بمباشرة عملهم في بناير المقل. والمهمة الأولى لهذه القوة هي القضاء على المقاتلين البعثيين، إما بالقتل أو الأسر.

ويعتبر إحياء عمليات القوات الخاصة الأمريكية من جديد يعتبر نصرا سياسيا لوزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد الذي عمل طوال سنتين لإجبار القيادة العسكرية على قبول استراتيجية اسمها "عمليات صيد الرجال"، وهي عبارة تُستخدم علنا وفي مراسلات البنتاغون الداخلية. وكان على رامسفيلد أن يغير جزءا كبيرا من قيادة البنتاغون لتنفيذ رغباته. وتبعاً لما يقوله مسئولون عسكريون واستخباريون أمريكيون وإسرائيليون، فإن وحدات استخبارات وقوات خاصة إسرائيلية تعمل بشكل وثيق مع نظيراتها الأمريكية في قاعدة فورت براغ للقوات الخاصة في نورث كارولينا وفي إسرائيل لمساعدتها على الاستعداد لتنفيذ عملياتها في العراق، ويتوقع في هذا السياق أن يقوم ضباط القوات الخاصة الإسرائيلية بهجمات استشارية -أيضا سراً- حين تبدأ العمليات على الأرض.

مسئولو البنتاغون والدبلوماسيون الإسرائيليون لم يعلقوا على الأمر، وقال لي مسئول إسرائيلي: "إنه موضوع مثير للجدل جدا، وقد قررت الحكومتان الأمريكية والإسرائيلية على أعلى المستويات أن من مصلحتهما التعميم على التعاون الأمريكي الإسرائيلي في العراق"، ويتفق الأمريكيون والإسرائيليون على أن النقطة الأكثر أهمية هي الاستخبارات.

وهناك الكثير من الجدل الآن حول ما إذا كان استهداف عدد كبير من الأفراد هو أمر عملي لإحلال الاستقرار في العراق خصوصا بالنظر إلى فشل القوات الأمريكية للحصول على معلومات متواصلة وذات مصداقية هناك.

ويحاول الأمريكيون الموجودون في الميدان حل هذه المشكلة عبر تطوير مصدر جديد للمعلومات، ويخططون لتجميع مجموعات من كبار ضباط الأجهزة الاستخباراتية السابقة وتدريبهم لاختراق المقاومة العراقية، والهدف هو أن يوفر هؤلاء العملاء معلومات عن المقاتلين العراقيين للأمريكيين، ويصف رئيس سابق لمحطة "سي.آي.إيه". هذه الاستراتيجية بكلمات بسيطة قائلا: قنصا أمريكيون وعمالء عراقيون، هناك عناصر استخباراتية عراقية أكثر اطلاعا ونحن نعمل على تجنيدهم، علينا إنعاش الاستخبارات العراقية واستخدامها للبحث ثم إرسال قوات دلتا والسي.آي.إيه لاحتحام البيوت والإمساك بالمطلوبين.

ويقول أمريكي يعمل مستشارا للسلطة المدنية الأمريكية في بغداد "الطريقة الوحيدة التي نستطيع بها النصر يجب أن تكون غير تقليدية، علينا أن نلعب لعبتهم، حرب عصابات ضد حرب عصابات، إرهاب ضد إرهاب، علينا تخويف العراقيين حتى الرعب والخصوع". وهناك اتفاق واسع الانتشار في واشنطن اليوم حول نقطة واحدة هي الحاجة لتغيير النهج الأمريكي في العراق، كما هناك انتقاد واسع للطريقة المتبعة الآن من جانب العسكر للرد على قوائم القتلى الأمريكيين المتزايدة، يقول أحد مسئولو البنتاغون السابقين الذي عمل كثيرا مع قيادة القوات الخاصة والذي يفضل المبادرات العسكرية الجديدة: "لقد أخذنا تلك الإعداد الكبيرة من القوات ووضعناها هناك لتصبح صيدا سهلا وما نفعله يأتي بنتائج عكسية، إننا نبعث برسائل مزدوجة"، وأضاف أن المشكلة في طريقة محاربة أمريكا للقيادة البعثية هي "أولا أنه ليس لدينا استخبارات"، وثانيا إننا من الناحية النفسية اضعف بكثير من أن نعمل في هذه المنطقة من العالم"، ويقول وهو يشير إلى الانتقام الأمريكي من موقع مشتبته بوجود مدفع هاون فيه: بدلا من تدمير ملعب كرة قدم فارغ، لماذا لا يقومون بعمل يستحق الإعجاب بتسلل فريق من القناصين وقتلهم فيما هم ينصبون المدفع؟ نريد رداً أقل تقليدية، والا فإنها الفوضى". أصبح مفهومنا في البنتاغون اليوم أن القضاء على صدام حسين والمقرين منه، أولئك الذين ضمتهم القائمة الأمريكية للمطلوبين، لن يوقف المقاومة، وبدلا من ذلك فإن عملية القوات الخاصة الجديدة تستهدف الوسط البعثي الأوسع، غير أن معظم المسئولين الذين تحدثت إليهم كانوا متشككين في خطط الإدارة، ويخشى الكثيرون من أن ما يسمى "الصيد الاستباقي للرجال" من قبل أحد مستشاري البنتاغون، يحمل إمكانية أن يتحول إلى برنامج فينكس آخر.

وفينكس هذا كان أصلا الاسم الرمزي لبرنامج مكافحة المقاومة المسلحة الذي تبنته الولايات المتحدة في حرب فيتنام، والذي كانت

وحدات القات الخاصة ترسل في سياقه لأسر أو اغتيال الفيتناميين الذين يعتقد بأنهم متعاونون أو متعاطفون مع الفيتناميين، وفي اختيار الأمريكيين لأهدافهم كانوا يعتمدون على المعلومات التي يوفرها ضباط جيش فيتنام الجنوبي وزعامات القرى. وهكذا خرجت العملية عن السيطرة وتبعاً لإحصاءات فيتنامية جنوبية رسمية تسببت فينكس بقتل حوالي 41 ألف ضحية بين عامي 1968 و 1972، فيما تقول المصادر الأمريكية أنهم أكثر من 21 ألف ضحية في الفترة نفسها، بعض الذين جرى اغتيالهم لم تكن لهم أي علاقة بالحرب ضد أمريكا، وإنما قتلوا بسبب عداوات خاصة، وقد اعترف وليام كولبي الذي كان مسئولاً عن برنامج "فينكس" قبل أن يصبح لاحقاً مديراً للسي.آي.إيه اعترف أمام الكونغرس بأن هناك أشياء كثيرة جدا حدثت، ما كان ينبغي لها أن تحدث. يحذر المسئول السابق في القوات الخاصة من أن مشكلة صيد الرؤوس هي ضرورة التأكد من "أنك تصيد الرؤوس الصحيحة". ويقول متحدث عن مسئول الاستخبارات العراقية السابقين المتعاونين حالياً: "إن لهؤلاء أجدتهم الخاصة هل سنقوم بضرارتنا بناء على الضغائن؟ حيث تشكل وحدات من عناصر عراقية سيكون صعباً معهم من الخروج عن إرادتنا وفعل ما يريدون فعله، يجب إبقائهم تحت زمام محكم". ويقول المسئول السابق أن الواضح هو اعتماد القيادة البعثية على "الاتصالات وجها لوجه" في التخطيط للهجمات. وهذا يجعل المقاومين أقل عرضة للاختراق حتى أمام واحدة من أكثر وحدات القوات الخاصة في الجيش سرية والتي تعرف باسم غراي فوكس "الثعلب الرمادي" والتي تمتع بخبرة فائقة في الاعتراض والوسائل التقنية الأخرى لجمع المعلومات. ويضيف: "إن هؤلاء أكثر ذكاء من أن يستخدموا الهواتف النقالة أو اللاسلكي، الأمر كله سينجح أو يخفق اعتماداً على الاستخبارات البشرية".

الاستخباري الأمريكي العراقي الجديد وهو فاروق حجازي، والموالي لصادم، والذي عمل طوال سنوات مديراً للعمليات الخارجية في المخابرات العراقية. وكان حجازي معتقلاً عند الأمريكيين منذ أواخر أبريل الماضي. يقول مسئول السي أي إيه أن حجازي قد "توصل لصفحة" مع الأمريكيين في الشهور القليلة الماضية حيث "يستخدمه المسئولون الأمريكيون لإعادة تفعيل شبكة المخابرات العراقية القديمة. يقول لي أصدقائي العراقيون إنه سيفي بصفتته، لكن حرفياً فقط وليس روحياً". ويقول أيضاً إن المخابرات العراقية رغم أنها كانت جهازاً أمنياً جيداً وقادراً وخصوصاً في حماية صدام حسين من محاولة انقلاب أو اغتيال، فإنها كانت "جهازاً استخبارياً رخوا". يواصل المسئول قائلاً: حتى الآن نتصرف بالطريقة الأمريكية ولازلنا نلعب دور اللطيفين، غير أننا نخطط الآن لنلعب دور الأندال ونقوم بالأعمال القذرة".

النجم المساعد في بنتاغون رامسفيلد الآن هو ستيفن كامبون، وكيل وزارة الدفاع لشؤون الاستخبارات، الذي كان في صلب عملية تطوير النهج الجديد القائم على القوات الخاصة. وقد تعرض كامبون لانتقادات شديدة حيث ثبت عدم صحة المزاعم الأمريكية حول أسلحة الدمار الشامل العراقية واتهم مع غيره من المدنيين في البنتاغون بتسييس الاستخبارات. بعد شهر من احتلال بغداد كان كامبون أول مسئول أمريكي يزعم علناً -مخطئاً كما تبين لاحقاً- بأن عربة عسكرية عراقية ربما تكون مختبراً متنقلاً للأسلحة الجرثومية.

كما يشارك كامبون رامسفيلد بأرائه حول مقاومة الإرهاب. فالاثنتان يعتقدان أن الولايات المتحدة يجب أن تكون أكثر نشاطاً في حرب الإرهاب والبحث عن قادته في كل العالم وتصفيتهم. كما شعر كامبون بالإحباط مثل رامسفيلد، حين رفضت القيادة العسكرية تبني مهمة صيد الرجال. يقول مسئول رفيع سابق في البنتاغون: "كان رامسفيلد يبحث عن يعطيه كل الأجوبة، ورأى في كامبون ميتغاه، إن لديه إمكانية الاتصال المباشر مع رامسفيلد أكثر من أي شخص آخر".

كما أن أحد كبار المخططين لمبادرة القوات الخاصة الهجومية هو الجنرال وليام بويكين، مساعد كامبون العسكري. وبعد اجتماع مع رامسفيلد وأوائل الصيف الماضي، أعلن بويكين تأجيل تقاعده الذي كان متوقعاً في يونيو وقبل منصبه في البنتاغون الذي رفع رتبته. وفي هذا المنصب، كما قال مستشار البنتاغون كان بويكين "عنصراً أساسياً" في التصعيد المخطط له، ففي أكتوبر الماضي. وفيما كان بويكين يقدم موعظة الأحد بيزته العسكرية أمام مجموعات كنسية كرر تشبيهه العالم الإسلامي بالشيطان. وفي يونيو الماضي قال أمام تجمع اوريفون أن "الشيطان يريد تدمير أمثنا، إنه يريد تدميرنا كأمة، ويريد تدميرنا كجيش مسيحي". كما امتدح بويكين الرئيس بوش باعتباره "رجلاً يصلي في المكتب البيضاوي" وأعلن أن بوش "لم يكن رئيساً منتخبا" بل "معيناً بمشيئة من الله" كما أن المسلمين يكرهون أمريكا "لأننا أمة مؤمنة".

وعلى الرغم من بعض الدعوات في الصحافة ومن قبل الكونغرس لطرد بويكين، أوضح رامسفيلد أنه يريد إبقائه في منصبه قائلاً إنه لم ير أو يسمع ما قاله بويكين وأن مثل هذه التصريحات تعبر عن آراء شخصية كما امتدح "السجل المتميز" للجنرال. وقد سبق للجنرال أن كان متورطاً في عدد من القضايا المثيرة للجدل. فقد كان قائد قوات الجيش المقاتلة في العاصمة الصومالية مقديشيو عام 1993 حينما قتل 18 جندياً أمريكياً في مهمة كارثية.

وفي ذلك العام قاد بويكين وحدة من ثمانية جنود من قوة دلتا كلفت بمساعدة الشرطة الكولومبية لمطاردة بابلو اسكوبار زعيم عصابات المخدرات الشهير. ورغم أن القانون يمنع بويكين من المشاركة القتالية في العملية بدون موافقة الرئيس الأمريكي، إلا أن الشائعات تقول انه فعل ذلك وبمساعدة من مسئولين في السفارة الأمريكية في كولومبيا.

ويصل حد الارتباط الأمريكي الإسرائيلي في العراق مستوى تقديم الخبرة حول مكافحة وتفكيك المقاومة. ويقول لي ضابط استخباري إسرائيلي سابق ملخصاً جوهر الدرس أنه "كيف تقوم بعملية اغتيال، وهو الأمر الضروري لنجاح الحرب وما الذي ستفعله الولايات المتحدة".

وقال لي إن الإسرائيليين يحنون الأمريكيين على تقليد وحدات الكوماندوز الصغيرة في الجيش الإسرائيلي التي تسمى بالمستعربين، والتي تعمل بشكل سرّي في الضفة الغربية وقطاع غزة. ويضيف: "يمكن لهذه القوة أن تقترب سراً من احد البيوت ثم تنقض عليه". ويقول إن وحدات القوات الخاصة من وجهة النظر الإسرائيلية يجب أن تتعلم "كيف تدبر شبكة من المخبرين"، ويقول إن مثل هذه الشبكة قد جعل بالإمكان أمام إسرائيل أن تخترق المنظمات التي تسيطر عليها جماعات مثل حماس في الضفة الغربية وغزة وأن تغتال أو تأسر مهاجرين انتحاريين محتملين إضافة إلى العديدين ممن يجندوهم ويدربوهم.

ومن جهة أخرى، يقول الضابط الإسرائيلي السابق إن "إسرائيل كانت ناجحة في عدة أوجه واستطاعت قتل أو أسر الكثيرين من النشطاء متوسطي المستوى على مستوى العمليات في الضفة الغربية بشكل جعل حماس تتشكل الآن إلى حد بعيد من خلايا معزولة تقوم بهجمات ضد إسرائيل بمبادرة منها، ليس هناك سيطرة مركزية على الكثير من الانتحاريين، إننا نحاول القول للأمريكيين

أنه ليست هناك حاجة لتصفية المركز، وإنما المهم هو عدم إرسال هوة إلى العراق". ويقتنع الكثير من الخبراء بالمنطقة، أمريكيون وغيرهم، بأن البعثيين لا يزالون ممسكين بقوة بقيادة المقاومة على الرغم من وجود صلة ضئيلة لهم بصدام حسين. يقول لي محلل عسكري أمريكي يعمل مع سلطة التحالف المؤقتة في بغداد بأنه استنتج أن "البعثيين متوسطي المستوى الذين كانوا مضغوطين بفعل الطبيعة الأبوية لنظام صدام حسين قد تسلموا الآن قيادة المقاومة مع غياب البعثيين ريفي المستوى. وفي لقاء معي في واشنطن قال لي دبلوماسي عربي كبير: "لا نعتقد أن المقاومة موالية لصدام. نعم، لقد أعاد البعثيون تنظيم أنفسهم لأسباب سياسية وإنما بسبب القرارات المربعة التي اتخذها بول بريمر. العراقيون يريدونكم حقاً أن تدفعوا ثمن ذلك. وقتل صدام لن ينهي الأمر".

وعلى نحو مشابه قال لي رجل أعمال من الشرق الأوسط كان يقدم مشورته لكبار المسؤولين في إدارة بوش إن بعثاً منظمًا من جديد سيكون شديد الفاعلية ويعمل سرًا باتصالات داخلية دائمة، وبدون صدام. ويضيف إن قادة حزب البعث يتوقعون أن يصدر صدام بياناً عاماً في النقد الذاتي "يقول فيه أخطاءه وتجاوزاته" بما في ذلك اعتماده على ولديه. وبالطبع، هناك اختلاف في الرأي حول مدى السيطرة البعثية على المقاومة. ضابط الاستخبارات الإسرائيلي يقول لي إن "معظم إطلاق النار يأتي من جانب البعثيين وهم يعرفون أين توجد الأسلحة، لكن كثيراً من المهاجمين ذو دوافع عرقية أو قبلية، فالعراق دولة مجزأة جداً الآن كما أن هذه الفتوة عميقة جداً داخل الأوساط السنية، وما لم يسو الأمريكيون هذا الأمر فإن أي محاولة إعمار في الوسط ستكون عبثية".

ويوافق المحلل العسكري الأمريكي على أن التأكيد الراهن على السيطرة البعثية "يتجاهل البعثيين الوطني والقبلي" ويقول إن القوات المعادية للتحالف في الفلوجة مثلاً، وهي مركز كبير للمعارضة "يقودها أساساً شيوخ المساجد والوطنيون"، ويضيف إن تلك المنطقة فيها "عشرات الآلاف من الضباط العسكريين السابقين العاطلين عن العمل الذين يسرحون بين مقاهي ومطاعم أقاربهم ليتآمروا ويخططوا ويعطوا ويتسلموا التعليمات، لينطلقوا ليلاً في مهماتهم".

ويشير المحلل العسكري، بشأن الكثير من المسؤولين الذين قابلتهم، الأسئلة حول تكتيكات الجيش الأكثر تقليدية، العملية الهجومية المسماة رمزياً بالمطرقة الحديدية والتي تتضمن القصف والغارات الليلية والاعتقالات بالجملة التي تستهدف المناطق المعذبة في وسط العراق الذي يغلب عليه السنة ويقول لي إن المقاومين قد نجحوا فعلاً بتطوير رد على هذه العملية: "إجراؤهم العملياتي المعياري الآن هو الخروج وتجاوز حدودهم الحالية أو حتى إلى مدن أخرى بحيث لا يصيب الانتقام الأمريكي الأماكن التي هم منها، وبالتالي يهجمون على المدينة التي وقع بها الحادث وفي سياق هذه العملية يضيفون لأنفسهم أعداء جددًا". عمليتا الهجوم الجريئتان على حافلتين في سامراء، في 30 نوفمبر الماضي توفران دليلاً إضافياً على توسع المعارضة للاحتلال. وقد كانت سامراء دوماً مركزاً لمشاعر العداة الشديدة لصدام كما يقول أحمد هاشم خبير الإرهاب الذي يعمل بروفيسوراً في الدراسات الاستراتيجية في الكلية الحربية البحرية الأمريكية.

حيث يقول هاشم في مقالة نشرها معهد الشرق الأوسط في أغسطس الماضي إن "الكثير من أهالي سامراء-الذين خدموا بامتياز في صفوف البعث والقوات المسلحة- تعرضوا للتطهير والإعدام خلال ثلاث سنوات من حكم صدام وأقاربه في مدينة تكريت، غير أن نمط بنية القوات الأمريكية في العراق (الوحدات المدرعة والميكانيكية الضخمة) والسلوك النفسي لهذه القوات الموجودة في العراق منذ شهور ليست منتجة لقيادة حرب ناجحة ضد المقاومة".

في أوائل نوفمبر الماضي تحدثت "تايمز" لأول مرة عن وجود قوة العمل 121 وقالت إنها حصلت على تفويض للعمل في كل المنطقة، إذا كان ذلك ضرورياً، لمطاردة صدام حسين وأسامة بن لادن وغيرهم (القوة يقودها جنرال القوات الجوية ليل كونينغ وهو قائد طائرات مروحية في القوات الخاصة).... إضافة إلى مبادرة القوات الخاصة، تستكشف القوات الأمريكية أيضاً سبباً أخرى لقمع المقاومة، وقد ذكرت "واشنطن بوست" قبل أيام أن السلطات الأمريكية في بغداد قد وافقت على مخصص، على تشكيل ميليشيا ضد الإرهاب مكونة من أكبر خمسة أحزاب سياسية عراقية. وهذه القوة غير النظامية، من حوالي 800 عنصر أو أكثر، ستقوم "باكتشاف ومطاردة المقاومين" الذين لم يتم اعتقالهم، كما قالت الصحيفة. ورغم أن المجموعة ستخضع في عملياتها الأولية لرقابة ومصادقة قادة أمريكيين إلا أنها ستعمل بشكل مستقل عملياً.

